مركز الأصالة والتجديد للدراسات والبحوث

يعنى بعرض أهم المقالات والتحليلات والخلاصات لكتب مختارة والمتعلقة بالشأن العراقي

العين العراقية

الملحق ملحق بنشرة العين العراقية

الآراء والمقالات لاتعبر بالضرورة عن رأي المركز

- **هل كانت أمريكا غافلة عن التغلغل الإيراني في المنطقة؟**

د. فيصل القاسم/ الشرق

في اللحظة التي وصل فيها الخميني إلى السلطة في إيران في نهاية سبعينات القرن الماضي قادماً من بلاد الغرب «اللعين» رفع فوراً شعار محاربة الشيطان الأكبر ألا وهي أمريكا وكل الجهات المتحالفة معها في الشرق الأوسط، وبالتالي كانت إسرائيل على رأس قائمة الجهات التي استهدفتها القيادة الإيرانية الجديدة التي استلمت مقاليد الحكم بعد الثورة.

وكلنا سمع وقتها كيف بدأ الإيرانيون الجدد يرفعون شعار تحرير القدس وإغراق الصهاينة بالماء، وقد دعا الخميني حينها كل المسلمين لكب سطل ماء فقط على إسرائيل فتغرق إلى غير رجعة، ولا ننسى هجوم الطلبة الإيرانيين على السفارة الأمريكية في طهران واحتجاز طاقمها لفترة طويلة ناهيك عن إغلاق السفارة الإسرائيلية في طهران وتسليمها لمنظمة التحرير الفلسطينية.

باختصار لا بد وأن أمريكا وإسرائيل استلمتا الرسالة الإيرانية عن كثب، وهي أن العهد الإيراني الجديد بعد الثورة اتخذ من إسرائيل وأمريكا العدو الأول لإيران وبالتالي كان لا بد لواشنطن وتل أبيب أن تتخذا كل الاحتياطات وترصد كل التحركات الإيرانية الجديدة لحظة بلحظة خوفاً من حملة الثأر الإيرانية الرهيبة التي أطلقها الخميني ضد الشيطان الأكبر وربيبته إسرائيل، لكن لو نظرنا إلى التغلغل الإيراني في المنطقة بعد سنوات قلائل على الثورة الإيرانية لوجدنا أن إيران وصلت فوراً إلى الحدود الإسرائيلية بلمح البصر بعد تهديداتها النارية للإمبريالية والصهيونية، ففي بداية الثمانينات وبعد ثلاث سنوات أو أقل ظهر فجأة إلى الوجود «حزب الله اللبناني» كأول طليعة وذراع عسكري لإيران في المنطقة، ولو ظهر ذلك الحزب مثلاً في بلد عربي بعيد عن إسرائيل، لبلعنا القصة لكن الذي حصل أن إيران أسست حزب الله على الحدود مباشرة مع ما تسميه وسائل الإعلام الإيرانية «الكيان الصهيوني» بعد أن قضت بالتعاون مع النظام السوري على كل الفصائل اللبنانية والفلسطينية والوطنية واليسارية والإسلامية وغيرها في لبنان التي كانت تخوض حرب العصابات ضد إسرائيل.

فجأة ظهر حزب الله ليرفع شعار تحرير القدس من على الحدود مع إسرائيل مباشرة وليس من طهران، صحيح أن التغلغل الإيراني في لبنان ومنطقة جبل عامل تحديداً بدأ منذ الستينات، لكن العلاقة بين إيران الشاهية وكل من إسرائيل وأمريكا في ذلك الوقت كانت سمناً على عسل وكان التحالف على أشده بين «السافاك» الإيراني و«الموساد» الإسرائيلي، ناهيك عن أن أمريكا في مرحلة ما قبل الخميني كانت تعتمد على إيران كشرطي لضبط المنطقة بأكملها وبالتالي لم تكن إسرائيل أو أمريكا تخشيان من أي تغلغل إيراني في لبنان أو غيره طالما أن الطرفين حليفان ومشتركان في إدارة المنطقة برمتها.

أما بعد تولي الخميني مقاليد الحكم في إيران ورفعه شعارات تقطر عداء لإسرائيل وأمريكا فكان لا بد للمرء أن يتساءل: كيف سمحت إسرائيل وأمريكا لذراع عسكري إيراني ضارب أن ينشأ على حدود إسرائيل مباشرة مع لبنان بعد فترة قصيرة جداً من وصول الخميني إلى السلطة، وبالتالي أن يهدد «الصهاينة» من على مرمى حجر؟

بعض الساخرين يتهكم قائلاً: يبدو أن أمريكا وإسرائيل اللتين تراقب اقمارهما الاصطناعية دبيب النمل في المنطقة كانتا نائمتين في تلك اللحظات التي ظهر فيها حزب الله على الحدود مع إسرائيل، فنشأ الحزب ونما ودجج نفسه بالسلاح الإيراني والسوري بلمح البصر، وعندما استفاقت أمريكا وإسرائيل وجدتا أن هناك قوة عسكرية إيرانية ضاربة على الحدود الإسرائيلية فأسقط في أيديهما وندمتا على الساعة التي أخذتا فيها غفوة، فاستغلتها إيران في إنضاج حزب الله، وجعله سيفاً مسلطاً على رقبة إسرائيل بين ليلة وضحاها.

وبما أن النظام الإيراني الجديد رفع منذ بداية الثورة شعار القضاء على الصهيونية فكيف سمحت له إسرائيل وأمريكا أن يتغلغل في سوريا جارة «الصهيونية» المباشرة بهذا الشكل الرهيب، بحيث أصبحت سوريا على مدى عقود بعد الثورة الإيرانية (عدوة الامبريالية والصهيونية)، أصبحت مربط خيل إيران في المنطقة، ويبدو أيضاً أن الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية أثناء التغلغل الإيراني في سوريا والهيمنة عليها كانت نائمة، ربما بسبب التعب أو بعد تناول وجبة ثقيلة من الأسماك، فاستغلت إيران الغفوة أيضاً ووصلت إلى حدود «الكيان الصهيوني» لتهدده مباشرة، وها هو الحرس الثوري الإيراني الذي يريد أن يدمر الصهاينة يصول ويجول الآن في سوريا حتى وصل إلى تخوم الجولان، وإسرائيل «المسكينة» غافلة عنه. يا سلام.

وليت أمريكا أخذت غفوة فقط في لبنان وسوريا فاستغلتها إيران، لا أبداً فقد اقترف الأمريكيون «الغفوة» نفسها في العراق، فذات ليلة استيقظ الغازي الأمريكي في بغداد بعد عشاء دسم وقليل من المسكرات فوجد أن إيران سيطرت على العراق وهيمنت على كل مفاصله الحيوية ولم يكن بمقدور أمريكا وإسرائيل عندئذ إلا أن تسلما بالنفوذ الإيراني في العراق كما سلمتا به على حدود لبنان وسوريا مع إسرائيل بعد غفوة أمريكية وإسرائيلية قصيرة أيضاً.

لقد قال الشيخ محمد بن راشد حاكم دبي نقلاً عن الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد: «لا يمكن أن تطلق إيران طلقة واحدة على إسرائيل لأننا نعرف أن أمريكا وإسرائيل لن تبقيا حجراً على حجر في بلادنا» هذا هو الموقف الإيراني الحقيقي من إسرائيل وأمريكا، أما ما نسمعه من عنتريات إيرانية فهو لذر الرماد في العيون والضحك على الذقون، ولم يبق لنا إلا أن نصيح قائلين ونحن نعاين الخلطة السرية للعلاقات الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية: «أسمع كلامك أصدقك، أشوف عمايلك أستغرب».

• تقرير "لوموند": كيف يموّل العراق، إيران، دبي ورجال أعمال الأسد نظام دمشق؟

"لم يبقَ في خزينة الدولة السورية دولار واحد"، هذا ما كشف عنه مصدر كان مقرّباً جداً من بشّار الأسد في السابق، كما نقلته صحيفة "لوموند" الفرنسية، "فآبار النفط باتت تحت سيطرة المسلحين أو تحت سيطرة الأكراد وتوقّفَ الناس عن دفع الضرائب أو فواتير الكهرباء والماء ولم يبقَ للنظام لدفع رواتب موظفيه سوى العمليات التجارية غير المشروعة والدعم المباشر من إيران والعراق".

تضيف جريدة "لوموند" الفرنسية، في تقرير خاص وضعه مراسلها "بنجامان بارت" أن رامي مخلوف هو "ملك" عمليات الفساد في سوريا والذي يسيطر على أقسام واسعة من الاقتصاد السوري، مثل التلفون الخليوي ("سيرياتيل") نجح في الحفاظ على موقعه المسيطر.

يُذكر أن رامي مخلوف استثمر في استيراد المواد الغذائية مثل القمح والأرز والسكّر والشاي بمساعدة رجلي أعمال من "منطقة الساحل" هما أيمن جابر وعبد القادر صبرا وموظّف سابق في شركة "نستله" السويسرية هو سمير حسن، وبين الوسطاء الذين ازدهرت أعمالهم في تجارة القمح تبرز عائلة "فوز" من اللاذقية التي تمثّل مصالح ابن عم الأسد الجنرال "ذو الهمة شاليش" قائد "الحرس الخاص" والذي يرد اسمه ضمن قوائم المشمولين بالعقوبات الدولية.

وقد نشأ هذا السوق الجديد بفضل المحصول الرديء للعام الماضي في سوريا، علاوة على سقوط مناطق زراعية كثيرة في أيدي المسلحين مع ملاحظة أن المنتجات الغذائية لا تخضع للحظر الأوروبي المفروض على المنتجات النفطية.

مصدر الربح السريع الآخر الذي نجم عن الأزمة هو استيراد النفط، وقد عهد النظام بهذه الوظيفة للقطاع الخاص بعد خروج مواقع استخراج النفط في "دير الزور" و"الحسكة" عن سيطرة النظام.

ويتسابق رجال الأعمال للاستفادة من هذا السوق، خصوصا وأن طهران فتحت لدمشق اعتماداً بقيمة 3.6 مليار دولار لشراء الخام والمشتقات النفطية، ويقوم رجال الأعمال الذين يختارهم النظام بشراء النفط ومشتقاته من إيران والعراق، وأيضاً من بعض جماعات الثوار التي استولت على الآبار، ففي مطلع السنة أكدت حكومات غربية أن ممثلي النظام اشتروا كمية من النفط من "جبهة النصرة" في "دير الزور".

ملايين الدولارات في حقائب دبلوماسية:

يقول أحد رجال الأعمال الدمشقيين "إن رامي مخلوف لديه مكتب محامين يمضي وقته في اختراع شركات وهمية"، وقد كشفت وزارة الخزينة الأميركية والسلطات الأوروبية بعض هذه الشركات في العام ٢٠١٢ بينها صندوق استثمار في "جزر الكايمان" وهولدينغ "دريكس تكنولوجيز" في دوقية اللوكسمبورغ.

ولكن رجل الأعمال السوري المطّلع يقول "إن رامي مخلوف نجح في إخفاء قسم من ثروته وخصوصاً في دبي حيث تقيم بشرى الأسد"، ويضيف "ان دبي التي استقبلت قسماً من ثروات مسؤولي المنطقة منذ اندلا ع ثورات الربيع العربي "تفاخر منذ العام ٢٠١١ بأنها تلعب نفس الدور الذي لعبته سويسرا أثناء الحرب العالمية الثانية" وبواسطة والده محمد مخلوف الذي يعيش بين دمشق وموسكو، فإن رامي مخلوف يستفيد من تسهيلات مالية في روسيا أيضاً.

وتتولى روسيا طباعة أوراق العملة السورية بعد إلغاء النمسا لعقد طباعة العملة السورية في خريف ٢٠١١، وفي كانون الاول ٢٠١١، سمح الكرملين للبنك المركزي الروسي بفتح حسابات بالروبل في البنوك الروسية بغية تجاوز الحظر الغربي على استخدام الدولار في المعاملات الرسمية السورية.

وتستفيد إمبراطورية رامي مخلوف من خدمات والد زوجته وليد عثمان وهو السفير السوري في بوخارست، ويقول أيمن عبد النور "إن نشاطات أبنائه في أوروبا وخصوصاً في فيينا وبوخاريست تدرّ ملايين الدولارات من الأموال النقدية التي يتم إرسالها إلى سوريا بواسطة الحقيبة الدبلوماسية".

وتشمل مجموعة "الأوليغاركيين" السوريين ماهر الأسد ورجال الأعمال التابعين له مثل محمد حمشو وسامر دبس وخالد قدور، ويسيطر محمد حمشو على سوق الاتصالات الهاتفية بواسطة الإنترنيت وسيحصل قريباً على ترخيص من وزارة السياحة لبناء جزيرة اصطناعية قرب "طرطوس".

ويشير التقرير إلى أنه مقابل الأرباح الطائلة التي يحققها رجال أعمال النظام فإنهم يدفعون قسماً منها لتمويل بقاء النظام.

ويُعتَقَد أن "سيرياتيل" تؤمن رواتب موظفي الدولة وحتى رواتب "الشبّيحة"، ويقول جهاد يازجي الذي وضع تقريراً حول الاقتصاد السوري في ظل الأزمة الراهنة، أن شركات الباصات وضعت سياراتها بتصرّف الجيش، ويظهر تماسك فئة رجال أعمال النظام في أن أياً منهم لم يلتحق بالمعارضة.

وفي نهاية المطاف فإن أغلبية رجال الأعمال السوريين يعتبرون الأزمة الحالية بمثابة كارثة، فوفقاً لحسابات خبراء الأمم المتحدة، فحتى لو حققت سوريا معدّل نمو سنوياً يصل إلى ٥ بالمائة فستكون بحاجة إلى ٣٠ سنة لكي يعود الناتج القومي إلى مستوى ما قبل الأزمة.

أنتهى